القيم الحضارية في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

م. د. نورا حسين علي عباس
كليّة الآداب / جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام
noura.hssein@sadiq.edu.iq

التقديم: 2021/7/22
القبول: 2021/8/29
النشر: 2022/6/15

Doi: https://doi.org/10.36473/ujhss.v61i2.1981

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص

يشكل هذا البحث الموسوم بـ (القيم الحضارية في أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام) عنصر دفاع علمي عن ديننا الحنيف والشخوص التي تمثله ، فضلاً عن أننا حين نبرز هذه الجوانب تكون مساعدة لتعزيز ثقتنا بأنفسنا لامتلاكنا هذه القيم العالية في تراثنا الديني ويكون ذلك مساعداً للنهوض بواقعنا والارتقاء به . والوقوف على الوسائل التي اعتمدها الدين الإسلامي في بناء الانسان ، والحياة الاجتماعية . لنخرج بمجوعة من المعايير التي تسهم في صياغة الهوية الإسلامية ، وتعبر عن ثقافة الإسلام بكل جوانب الحياة .

الكلمات المفتاحية : القيم الحضارية ، أحاديث أهل البيت عليهم السلام

المقدمة :

إنّ من أهم الأسباب الموجبة للولوج في هذا المضمار وإبراز هذا النوع الأفكار هو أنّه يشكل عنصر دفاع علمي عن ديننا الحنيف والشخوص التي تمثله . فقد تعالت الأصوات في عالمنا اليوم التي تقدح بديننا الحنيف وتتهميه بغياب المعالم الحضارية في كثير من تفصيلاته فحري بنا اليوم أن نرد على هذه التخرصات بأدلة واقعية لا تصدر عن تعصب بلا دليل ، ولا ادعاء يخلو مما يبرهن على وجوده .

فضلاً عن أننا حين نبرز هذه الجوانب تكون مساعدة لتعزيز ثقتنا بأنفسنا لامتلاكنا هذه القيم العالية في تراثنا الديني ويكون ذلك مساعداً للنهوض بواقعنا والارتقاء به .

والأمر الآخر الذي يحققه هذا البحث من نفع مرتجى هو الوقوف على الوسائل التي اعتمدها الدين الإسلامي في بناء الانسان ، والحياة الاجتماعية . لنخرج بمجوعة من المعايير التي تسهم في صياغة الهوية الإسلامية ، وتعبر عن ثقافة الإسلام بكل جوانب الحياة .

والأمر هذا في حد ذاته يسهم في تمسكنا بديننا وثقافتنا ، وعدم الانجرار وراء الثقافات الغربية الوافدة.

ومن هذا المنطلق آثرنا أن نبرز في هذا البحث الجوانب المتعلقة بالقيم الحضارية التي ضمتها الأحاديث الصادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) محللين تلك الأحاديث بعد تخريجها من كتب الحديث المعتبرة تحليلاً موضوعياً لإبراز القيم التي تتضمنها .

وقد جمعت الأحاديث التي بالإمكان أنْ نستلهم منها قيماً حضارية وتعبر عن أسس تحمل هذه الأفكار والانتقاء منها بالقدر الذي يسمح به البحث للتمثيل وليس الإحاطة بكل ما ذكر في هذا المجال ، ووضعت عنواناً لكل حديث يتسق مع المضمون الذي يعبر عنه ، والفكرة التي يحملها . ولم أجعل الحكم على الحديث معياراً لاستعمال الحديث من عدمه . ولم يكن من عملي دراسة الاسانيد . أمّا الحكم على الحديث فأذكره في حال ورد ذكره في واحد من الكتب التي ترويه وإن لم يذكر له حكم لم أذكر الحكم عليه .

وقد حاولت قبل استعراض النصوص التي تحمل قيماً حضارية عرض بعض المفاهيم المرتبطة بالبحث ، وتقديم مهاد نظري عنها قبل جلب الأحاديث التي نروم استلهام القيم منها وعرضها ، وشرح مضامنيها .

و كانت العتبة الأولى بيان معنى الحضارة وبعض المفردات القريبة منها .

فالحضارة لغة : مشتقة من حَضَر يحضُر بمعنى أقام في الحضر وهو القرى والمُدن ، خلاف البداوة وهي سكنى البوادي وقد يعبر عنها بالمدنية من : مَدَنَ بالمكان أقام فيه واستقر ، ومدّن المدينة بناها ومصرها .

أمّا الحضارة في الاصطلاح :

فقد عرفها ابن خلدون بأنها : ((ذلك النمط من الحياة المستقرة الذي يقتضي فنوناً من العيش والعلم والصناعة ، وإدارة شؤون الحياة والحكم ، وتوطيد حياة الدعة وأسباب الرفاهية)

وتعرف بأنّها : ((جملة الإنجازات التي يُبدعها مجتمع من المجتمعات أو أُمة من الأمم في شتى مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية و العلمية نتيجة تفاعل أبناء المجتمع أو أبناء الأمة مع البيئة التي يعيشون فيها بشكل جيد ، أو هي تراث الأمة أو الجماعة الذي بنته عبر عصورها المختلفة ، والذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم .))

وقيل عنها : ((الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات ، والقيم ، والتقاليد ، والقوانين ، والمعلومات والفنون ، ،وأي عادات أو سلوكيات ، أو إمكانيات يمكن أنْ يحصل عليها فرد ما في مجتمع ما))

وحين يتركب لفظ الحضارة مع مفردة أخرى يكتسب معنى إضافياُ وتكون لها خصوصية مغايرة فإضافتها إلى الإسلامية يعطي لها معنى يختلف عن معنى الحضارة بعموميتها فقد عرفت الحضارة

الإسلامية بأنّها : ((هي حضارة تقوم على الإسلام؛ حيث إن الفكر الإسلامي هو الذي بناها وشيدها، وهي حضارة إنسانيّة تشمل مختلف جوانب الحياة))

الفرق بين القيم والحضارة :

وهنالك ألفاظ تقترب من المعاني التي تعبر عنها لفظة الحضارة لكنها تختلف معها في جوانب معينة ، نحو لفظة القيم التي تعرف بأنّها : ((هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما ، وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية ، ويكون لها القوة والتأثير والإلزام والعمومية))

الفرق بين الحضارة والثقافة.

ومثلما وجدنا فارقا بين الحضارة والقيم نجد فارقا ملحوضاً بين الحضارة والثقافة إذ إنّ أصل الثقافة ((مأخوذ من تثقيف الرمح أي تهذيبه ، وتعديله وتسويته . ثم انتقلت الكلمة إلى تثقيف العقل أي تهذيبه بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة وبذلك تكون الكلمة قد تجاوزت الماديات إلى المعنويات))

ويعرف المثقف بأنّه ((الذي يعرف عن كل شيء شيئا ، أي يكون لديه الإلمام بأطراف المعارف والمعرفة بالأشياء حسب الإمكان والطاقة بخلاف الشخص الذي يعرف عن الشيء الواحد كل شيء فإنه في هذه الحالة يكون عالماً متخصصاً فالاستيعاب صفة المتخصص والاستنارة العامة صفة المثقف .))

فيبدو أنّ هنالك علاقة بين كل من المدنية والثقافة والحضارة إذ إنّ المدنية والثقافة جناحا الحضارة بمضمونها الفني وإن الحضارة بذلك تكون الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ، وهي مجموع الحياة في صورتيها المادية والمعنوية

ومثلما كان هنالك تقارب مع بعض الألفاظ ، ولفظة الحضارة في المعني ، نجد وجود تقاربا آخر لا يكون في المعنى بل يكون في الوظيفة ، فالوصول إلى معنى الحضارة يحتاج مجموعة من الأدوات التي تحقق هذا الأمر ، ويكون من أسسها المهمة ، ومصداق هذا القول الحوار الذي يعد من أبجديات الحضارة ، ومن أهم أسباب تحققها .

ويعرف الحوار بأنه ((عملية اتصال بين طرفين أو أكثر ، وهي تعتمد المخاطبة أو المساءلة حول شأن من الشؤون باعتباره نافذة من النوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها . فإذا ارتقى الحوار من شكله البسيط أصبح حركة فكر ينفتح على فكر آخر ، أو بتعبير مغاير عملية تفكير مشترك بصوت مسموع هدفها تبادل المعارف ومقابلتها للوصول إلى حقائق مشتركة)

وقد عززت الحضارة الإسلامية هذا المفهوم وتمثلته في أدبياتها إذ إنّها ((لم تُقص الحضارات السابقة ، بل استوعبتها ، وأخذت ما فيها من محاسن ، وزادت عليها ، وبينت ما فيها من مثالب))

وقد عبر عن هذا المضمون صراحة القرآن الكريم الذي عبر عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة : فقال تعالى : { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }

وقد حمل هذا النص المقدس معنى ((أن الله أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله) رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم ، فأمّا مؤمنهم فإنَّ الله هداه به وأدخله به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة ، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله))

وقد تمثلت رحمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف كثيرة من سيرته الشريفة ومثال ذلك ما حصل مع أهل قريش الذين صبوا عليه ألوان العذاب ، وبالغوا في أذاه ولم يكنْ يحمل في قلبه أي ضغينة اتجاههم ، وهذا ما دفعه للخروج من بينهم لئلا ينزل الله عليهم العذاب، وحين نزل ملك الجبال مع جبرائيل عليهما السلام لعذاب قريش قال مقالته المشهورة (لعلّ الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله) فالرحمة في هذا الموضع لا تمتلك بعداً عاطفياً وحسب بل إنّها رحمة متعقلة تمتلك استشرافاً إلى القادم وتميّز بين السلوك العدواني والانتقامي ونتائجه ، والسلوك الذي يتوج بالرحمة وما ينتج عنه .

وهذا يجعلنا قادرين على التصريح بتمايز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات إذ ((إنّ حضارة القرآن تملك المنهج الذي يشرح الحقائق ، ويرسم الطريق ، ويمنح المعرفة الثابتة ؛ لأنّها مستمدة من كتاب خالد ، فهي من أجل ذلك معرفة نهائية لا تتغير ولا تتبدل ولا تتناقض ولا تضطرب))

فضلاً عن أنّ الحضارة الإسلامية تأخذ صبغة الاستمرار والاستقرار لأنها تصاحب حياة البشر منفتحة على غيرها من الثقافات والمدنيات تتمثلها حضارة الجنس البشري كله من غير تعصب ولا استعلاء ولا جمود ولا تهافت

ولأن ((المعيار السليم الذي يجب أن تقاس به مستويات التحضر لأمة ما ، هو نظرتها إلى الانسان وموقعه ومكانته في إطار هذه الحضارة ، وفي إطار الفلسفة السياسية والاجتماعية السائدة)) . نستطيع التصريح بأنّ الحضارة الإسلامية في أعلى مستويات الحضارات ؛ لأنّها

تضع الانسان في وضعه الصحيح ومقامه الموقر تقدم له منهج ربه لينطلق به في رحاب الحياة

والتركيز على الانسان جاء لمحوريته في الحياة ، ولأنّه أساسها ، وعلاقة الناس مع بعضهم ، شيء لا يُستغنى عنه إذ ((إنّ حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم وثابتة لا تزايلهم ، ومحيطة بجماعتهم ، ومشتملة على أدناهم وأقصاهم))

ومن الجدير بالذكر إنّ الحضارة تظهر في أكثر من مظهر ، كالمظهر السياسي ، والمظهر الاقتصادي ، والاجتماعي ، والديني ، والفكري ، والفني

أمّا القيم الحضارية فهي : ((المعايير والموازين الموجهة لحركة الانسان والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري بكل تنوعاته ، وامتداداته وفق رؤية الإسلام ومقاصده في تحريك الحياة تحصيلاً للمعية الإلهية ، وترسيخاً للذات الإنسانية ، واستقامة في التعامل مع مفردات الكون وعطاءاتها))

وقد اشتملت تعاليم ديننا الحنيف على كم كبير من تلك القيم إذ ((تتضح مركزية القيم في البناء الحضاري الإسلامي من خلال دعوتها إلى (ترسيخ الذات الإنسانية) بمراعاة حق النفس تزكية لها ، وتصحيح السلوك أصلاً ، ومقصداً ، ووسيلةً . والعمل على مراعاة حق الغير انساناً وحيواناً ، ونباتاً ، وجماداً إذ الأصل في منهج البناء الحضاري الإسلامي أن تمنح الحقوق لا أن نسلبها ، وأن تدع المقابل يرضى لا أنْ يسخط .))

وليس هنالك دليل أكبر على رسوخ القيم الحضارية في الثقافة الإسلامية من ورود تلك القيم بمعانيها المختلفة في نصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام) إذ إنّ الاطلاع على تلك النصوص الشريفة يكشف النقاب عن كم كبير من تلك القيم التي تشترك مع القيم التي أقرها القرآن الكريم ، وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

وإنْ حجم البحث الذي نشتغل فيه لا يسمح بالإحاطة بجميع القيم الواردة في نصوص المعصومين (عليهم السلام) لذلك آثرنا أخذ نماذج من الأحاديث المتضمنة لتلك القيم واقتصرنا على الأحاديث الحاوية على قيم اجتماعية وأخلاقية لتكون مهمة هذا البحث الإشارة إلى وجود القيم الحضارية في نصوص المعصومين والتمثيل لهذا الأمر بمجموعة من الأحاديث ويبقى المجال مفتوحاً لمن يروم الغوص في أعماق هذه النصوص المقدسة لاستجلاء معانيها السامية واستنباط القيم منها على اختلاف مقاصدها .

ومن تلك النصوص التي حملت معاني القيم الحضارية . الحديث الذي يعبر عن فكرة تتعلق بأدب الحوار وطريقة مخاطبة الناس .

التأدب في الكلام :

فمن أبرز القيم التي يحثنا عليها ديننا الحنيف ، ويحاول ترسيخها في نفوسنا قيمة التأدب في الحوار مع الآخرين لما لهذا الأمر من أثر جلي في تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الإسلامي وترسيخ فكرة الاحترام بينهم ؛ لإسهام هذا الأمر في بناء مجتمع متماسك متلاحم يستطيع النهوض بنفسه عن طريق تعاون أبنائه . وهذا المعنى نجد له أكثر من مصداق في نصوص الأئمة عليهم السلام ، ومنها ما ورد عن ((**مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِساً فَبَعَثَ غُلَاماً لَهُ أَعْجَمِيّاً فِي حَاجَةٍ إِلَى رَجُلٍ فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ فَجَعَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَسْتَفْهِمُهُ الْجَوَابَ وَجَعَلَ الْغُلَامُ لَا يَفْهَمُهُ مِرَاراً قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ لَا يَتَغَيَّرُ لِسَانُهُ وَلَا يَفْهَمُ ظَنَنْتُ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَسْتَغْضِبُ عَلَيْهِ قَالَ وَأَحَدَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام النَّظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ عَيِيَّ اللِّسَانِ فَمَا أَنْتَ بِعَيِيِّ الْقَلْبِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْحَيَاءَ وَ الْعَفَافَ وَ الْعِيَّ عِيُّ اللِّسَانِ لَا عِيُّ الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَ الْفُحْشَ وَ الْبَذَاءَ وَ السَّلَاطَةَ مِنَ النِّفَاقِ**))

فهذا الحديث الشريف يشير إلى فكرة جوهرية مفادها الصبر على المخاطب الذي لا يستوعب كلامنا بسرعة ، وعدم تعنيف من يتأخر في الفهم . فضلاً عن إشارته إلى أهمية الكلام الصادر منّا وأثره إذ

أشار عليه السلام في هذا الحديث إلى أنّ الصفات السلبية التي يحكم بها شخص ما مصدرها اللسان ، وكذلك الصفات المحمودة التي يمتدح بها الانسان يكون مصدرها اللسان لا القلب وهذا يدحض ثقافة عدم الاهتمام بحديث الانسان والاتكاء على صدق نواياه وطيب سريرته وضرورة تطابق نواياه الحسنة مع لسانه الذي يمثل به لحديثه وخطابه مع الناس . وقد حمل هذا الحديث فلسفة مهمة تؤسس لثقافة من الضروري الاهتمام بها ومراعاتها تتلخص في أنّ الانسان ((قادر على أن تجعل صمتك كلاما ، ولست بقادر على أن تجعل كلامك صمتا ، وهذا حق ، لان الكلام يسمع وينقل فلا يستطاع إعادته صمتا ، و الصمت عدم الكلام ، فالقادر على الكلام قادر على أن يبدله بالكلام ، وليس الصمت بمنقول ولا مسموع فيتعذر استدراكه))

فمن أبرز القيم الاجتماعية التي يحملها هذا النص الشريف أهمية احترام الآخر والصبر عليه في حديثنا معه ، فضلا عن بيان أهمية اللسان الذي يرمز إلى كلام الانسان وخطابه . وبذلك يؤسس لثقافة عالية من التخاطب والاهتمام بهذا الأمر لما له من أثر كبير في علاقة أبناء المجتمع وتلاحمهم ، وبناء علاقات طيبة بينهم . وهذه من أبرز عنوانات السلوك الحضاري .

بر الوالدين :

ومن القيم الحضارية التي اختص بها الإسلام ، تعامله مع الآباء ، وفرض احترامهم ، وطاعتهم . قبل النظر إلى الديانة التي ينتمون إليها ، أو العقيدة التي يتبنونها . غير آبهين بعرقهم ، ومتبناتهمه الفكرية . وغير ذلك من الأمور التي تعد من أولى أسس التسامح الفكري التي أرسى قواعدها الدين الإسلامي الحنيف عن طريق الكم الكبير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، ونصوص الأئمة المعصومين عليهم السلام .

ومما جاء حاملاً هذه القيمة المهمة . ما ورد عن ((**فَضَالَةُ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ لِي أَبَوَيْنِ مُخَالِفَيْنِ فَقَالَ لَهُ بَرَّهُمَا كَمَا تَبَرُّ الْمُسْلِمِينَ يُسَمِّي هُوَ الْآبَاء**))

فقد أقرّ هذا الحديث بـ ((ان بر الوالدين الكافرين واجب و أن المقام معهما أفضل من الجهاد كالمقام مع المسلمين و أن الجهاد اذا لم يتعين عليه يتوقف على اذنهما))

وقد فصلت مصادر التشريع في الإسلام ما يتوجب على المراء أداؤه تجاه أبويه ، وكيفية التعامل معهما استناداً إلى الحكم الذي ينص على ((أن عقوق الوالدين من كبائر الذّنوب فالبرّ بحكم التضادّ من عظائم الحسنات ، و من برّك بهما أن تحسن صحبتهما و تقضى ديونهما ، و تعينهما على فعل الخيرات، و تفعل ما يسرّهما و تترحّم عليهما، و توصل ما أمكن من الخيرات إليهما، و لا تكلفهما سؤال شيء ممّا يحتاجان إليه، و لا تقول لهما: أفّ إن أضجراك، و لا تنهرهما إن ضرباك، و لا تملأ النظر إليهما إن أغضباك و لا ترفع صوتك فوق أصواتهما و لا يدك فوق أيديهما، و لا تقدّمهما و لا تستسبّهما بأن تسبّ أبا غيرك و أمّه فيسبّ أباك و أمّك و لا تفعل ما يؤذى نفسك أو صديقهما فان ذلك يؤذيهما، و لا تعنهما على

الظلم فانّ الاعانة عليه خلاف البرّ، و لا تسافر إلّا باذنهما و إن كان إلى الجهاد لأنّ انسهما بك يوما و ليلة خير من جهاد سنة))

فالاختلاف في الانتماء إلى الدين ، واعتناق الدين الإسلامي من عدمه لا يحرم الانسان من الحقوق التي أُقرت له في المجتمع . وأهم تلك الحقوق الاحترام الذي يتلقاه الانسان والاحسان إليه ففي هذا الحديث أمر ببر والدي السائل على الرغم من عدم انتمائهما إلى الدين الإسلامي وهذا أعلى درجات الحرية الفكرية وأهم قيمة من قيم حقوق الانسان إذ لا يكره في الدين الإسلامي الانسان على تبنيه الفكري ، أو طبيعة تدينه. فهو يختار ما يريد اختياره ولا يؤدي اختياره إلى منعه حقوقه ولا رفع الواجبات المكلف بها في المجتمع .

حسن الجوار :

ومن القيم الحضارية التي تعاطى معها الدين الإسلامي الحنيف قيمة الروابط الاجتماعية وبناء علاقات متينة بين أبناء المجتمع الواحد لإدراك أهمية هذه الأواصر التي تسهم في خلق مجتمع متآلف ومتحاب تسوده العلاقات المبنية على أساس الاحترام والتعاطف بين أفراده

إذ ركز الدين الإسلامي عن طريق القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، ونصوص الأئمة المعصومين على هذه القيمة ، ومن مصاديق هذا الأمر النصوص التي تحث على العناية بالجار و احترامه، والتوصية به والصبر عليه في كل المواقف وكأنما حاولت الشريعة المقدسة خلق عائلة أكبر من العائلة التقليدية ، وبناء مجتمع تربط جميع أفراده علاقات اجتماعية رصينة وهذا الأمر يكون سببا من أسباب رقي المجتمعات ، وتطورها .

ومن النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام الحديث الآتي : **((حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فَضَالَةُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عِكْرِمَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لِي جَاراً يُؤْذِينِي فَقَالَ ارْحَمْهُ قَالَ قُلْتُ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ فَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنِّي فَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُ فَقُلْتُ إِنَّهُ يَفْعَلُ بِي وَ يُؤْذِينِي فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَاشَفْتَهُ انْتَصَفْتَ مِنْهُ قَالَ قُلْتُ بَلَى أَوْلَى عَلَيْهِ فَقَالَ إِنَّ ذَا مِمَّنْ يَحْسُدُ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِذَا رَأَى نِعْمَةً عَلَى أَحَدٍ وَ كَانَ لَهُ أَهْلٌ جَعَلَ بَلَاءَهُ عَلَيْهِمْ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ جَعَلَ بَلَاءَهُ عَلَى خَادِمِهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ سَهِرَ لَيْلَتَهُ وَ اغْتَاضَ نَهَارَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ص إِنِّي اشْتَرَيْتُ داراً فِي بَنِي فُلَانٍ وَ إِنَّ أَقْرَبَ جِيرَانِي مِنِّي جِوَاراً مَنْ لَا أَرْجُو خَيْرَهُ وَ لَا آمَنُ شَرَّهُ قَالَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيّاً وَ سَلْمَانَ وَ أَبَا ذَرٍّ قَالَ وَ نَسِيتُ وَاحِداً وَ أَظُنُّهُ الْمِقْدَادَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُنَادُوا فِي الْمَسْجِدِ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ أَنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ فَنَادَوْا ثَلَاثاً ثُمَّ أَمَرَ فَنُودِيَ إِنَّ كُلَّ أَرْبَعِينَ داراً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ يَكُونُ سَاكِنُهَا جَاراً لَه))**

إذا أقرّ الإسلام قيمة عالية بحسب هذا الحديث ، الذي عزز مضمونه بالاستشهاد بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من تأكيد الفكرة التي حواها إذ يشير إلى حرمة عدم الصبر على الجار ،

وحرمة عدم الإحسان إليه ، وحرمة إيذائه بأية طريقة . وقد وسع رقعة المقصود بكلمة الجار فامتدت إلى مساحة ما يتسع أربعين بيتاً من أطراف البيت الذي نعيش فيه . وهذا الأمر علامة فارقة يتميز بها الدين الإسلامي الحنيف الذي يُعنى ببناء علاقات اجتماعية بين جميع أفراد المجتمع ، ويدرك أنّ العلاقات الإيجابية تسهم في خلق مجتمع يستطيع النهوض بنفسه وتطوير واقعه ؛ لأنّه يحيا متماسكاً ومتآلفاً . فهذه الأمور تسهم في خلق روح التعاون بين أبناء المجتمع ، ويؤدي هذا التعاون إلى النهوض به والارتقاء بواقعه.

المساواة بين الناس :

ومما يميّز ثقافة الإسلام عن ثقافة الجاهلية المساواة بين الناس من غير تفريق على أسس طبقية واجتماعية ، فقد حددت الثقافة الإسلامية معايير لا تشبه المعايير التي استعملتها الجاهلية في التفاضل بين الناس فالإسلام ليس عنده غير التقوى معياراً للتفاضل بينهم . فالانسان يرتفع بسلوكه واقترابه من الله عز وجلّ لأجل ذلك وردت مجموعة من النصوص عن أهل البيت عليهم السلام تعزز هذه القيمة في نفوس أبناء المجتمع ، ومنها ما ورد عن ((**النَّضْرُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأَى امْرَأَةً فِي بَعْضِ مَشَاهِدِ مَكَّةَ فَأَعْجَبَتْهُ فَخَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ وَ تَزَوَّجَهَا فَكَانَتْ عِنْدَهُ وَ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَاغْتَمَّ لِتَزْوِيجِهِ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ أَنَّهَا مِنْ آلِ ذِي الْجَدَّيْنِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ فِي بَيْتٍ عَلِيٍّ مِنْ قَوْمِهَا فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ مَا زَالَ تَزْوِيجُكَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ فِي نَفْسِي وَ قُلْتُ تَزَوَّجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ امْرَأَةً مَجْهُولَةً وَ يَقُولُهُ النَّاسُ أَيْضاً فَلَمْ أَزَلْ أَسْأَلُ عَنْهَا حَتَّى عَرَفْتُهَا وَ وَجَدْتُهَا فِي بَيْتِ قَوْمِهَا شَيْبَانِيَّةً فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُكَ أَحْسَنَ رَأْياً بِمَا أَرَى إِنَّ اللَّهَ أَتَى بِالْإِسْلَامِ فَرَفَعَ بِهِ الْخَسِيسَةَ وَ أَتَمَّ بِهِ النَّاقِصَةَ وَ كَرَّمَ بِهِ مِنَ اللُّؤْمِ فَلَا لَوْمَ عَلَى الْمُسْلِمِ إِنَّمَا اللُّؤْمِ الْجَاهِلِيَّة**))

فيحمل هذا الحديث قيمة حضارية مهمة مفادها إنّ الانسان يحترم لانسانيته ، وقد سعى الإسلام إلى رفع قدره وعدم حط منزلته ، ولا يحق لنا وضع الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع إذ إنّ هذا الأمر من ثقافة الجاهلية التي محقها الإسلام ولم يقبلها وأسس لثقافة جديدة تجعل الانسان يعامل بانسانيته . فلا تفاضل لنسب على آخر ، ولا تمييز لفئة على أخرى . فالعمل الصالح والأخلاق الحميدة هي الوسائل الوحيدة التي ترفع قدر الانسان وتميزه عن الآخرين .

ولعل المتطلع إلى هذه النماذج البسيطة التي سمح بعرضها المقام تتكشف له رقي الدين الإسلامي الحنيف ، وتعاليمه الأصيلة التي أسست لقيم نبيلة ، وثقافة انسانية تتطلب منا الوقوف عندها والتأمل فيها وتمثلها في حياتنا الاجتماعية .

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث الذي حاولنا فيه إبراز القيم الحضارية في نصوص الأئمة عليهم السلام ، ومحاولة شرح الأحاديث التي تضمنت ثلاثة قيم نحسبها مثالاً واضحاً لوجود قيم حضارية مهمة في الثقافة الإسلامية بصورة عامة ، ونصوص المعصومين عليهم السلام بصورة خاصة . وبعد شرح تلك النصوص وبيان دلالاتها نحاول الوقوف على أبرز النتائج والتوصيات التي وقف عليها البحث ، وهي :

. إنّ تراثنا الإسلامي يزخر بالقيم الحضارية ، والوقوف على تلك القيم من شأنه تغيير كثير من التصورات التي ارتسمت في أذهان المسلمين ، وغير المسلمين عن واقع ديننا الحنيف ، وثقافته في بناء المجتمع .

. ركزت نصوص المعصومين على اعتماد الوسائل التي من شأنها خلق مجتمع متماسك تسوده الألفة ، والمحبة ، والاحترام بين أبناء المجتمع الواحد .

. بينت نصوص المعصومين موقف الإسلام من التعامل مع الانسان ورفع كل الوسائل التميزية التي كانت معتمدة قبل أن تشع الحضارة الإسلامية بنورها على أرجاء المعمورة . إذ نشر الدين الإسلامي ثقافة عمادها المساواة في التعامل الإنساني في جميع البشر على اختلاف أصنافهم وتنوعهم .

. حاول أهل البيت عليهم السلام الاندماج في المجتمع عن طريق اتباع السبل التي من شأنها تحقيق ذلك كالمصاهرة وغيرها من الوسائل التي تحقق إقامة علاقات اجتماعية مع الجميع ، وعدم الانغلاق على فئة والترفع على الفئات الاجتماعية الأخرى .

. ركزت نصوص أهل البيت (عليهم السلام) على مسألة خلق ضوابط للحوار والتأدب في مخاطبة الناس ، وبيان آثار اللسان ، وما يصدر عنه في بناء العلاقات الاجتماعية مع أبناء المجتمع .

المصادر :

القرآن الكريم .

- ابن أبي الحديد (ت 656هـ) ، 1962م ، شرح نهج البلاغة : ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بيروت.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (708هـ) : **مقدمة ابن خلدون** ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان .
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) : **لسان العرب** ، 2003م دار صادر ، بيروت . لبنان.
- ابن نبي ، مالك : **مشكلة الثقافة** ، 1979م ، دار الفكر ، دمشق . سوريا.
- أبو خليل ، شوقي ، 2002 م : الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة ، ط2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت . لبنان ، .
- أحمد ، لطفي بركات : القيم والتربية ، 1983 م ، دار المريخ للنشر ، الرياض . السعودية .
- أحمد ، موسى محمد وآخرون : في الحضارة الإسلامية دراسة في معانيها وآثارها المعنوية والمادية ، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب العالمي ، القاهرة . مصر .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ) ، 1407هـ ، صحيح البخاري : ، دار ابن كثير ، بيروت .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255 هـ) ، الحيوان : ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي .
- حمودة ، عبد الحميد حسين ، 2012 م : الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي الدار الثقافية للنشر ، القاهرة . مصر ، .
- الخطيب ، محمد عبد الفتاح : قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة ، 1431هـ ، سلسلة كتاب الأمة ، الدوحة . قطر .
- زرمان ، محمد : قيمة الحوار وأبعادها الحضارية في السنة النبوية ، (ضمن أعمال ندوة القيم الحضارية في السنة النبوية ، 2007 ، ط1 ، دبي ، الإمارات العربية .
- سبع ، توفيق محمد قيم حضارية في القرآن الكريم (عالم ما قبل القرآن) ، ط2 ، دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهر ، مصر .
- السحيم ، محمد بن عبد الله بن صالح : القيم الحضارية في رسالة خير البشرية ، 1432هـ ، ط1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض . السعودية .
- شهوان ، راشد سعيد : الضوابط الشرعية للثوابت والمتغيرات في الإسلام : 2013م ، ط1 ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، عمان . الأردن.

- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت 175هـ) : العين ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، 1409هـ ، ط2 ، نشر الهجرة ، قم . إيران .
- الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحق (ت 329هـ) الكافي ، تحقيق : علي أكبر غفاري ومحمد أخوندي ، ، 1407هـ ، ط4 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران
- الكوفي ، حسين بن سعيد الأهوازي (ت ق3) ، 1402هـ ، ط2 ، الزهد ، المطبعة العلمية قم . إيران .
- المازندراني ، محمد صالح بن أحمد (ت 1081هـ) ، 1424هـ شرح الكافي (الأصول والروضة) : ، تحقيق وتصحيح : أبو الحسن الشعراني ، ط1 ، المكتبة الإسلامية ، طهران . إيران .
- المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي (ت 1110هـ) : **مرآة العقول** في شرح أخبار آل الرسول ، 1404هـ ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران .
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ) : صحيح مسلم : ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي .
- هندي ، إحسان : **كلمات في الحضارة** ، 1977م ، مجلة العربي ، العدد 224 .

References:

- The Holy Quran .
- Abu Khalil, Shawqi, 2002 AD: Arab-Islamic Civilization and a Brief on Previous Civilizations, 2nd Edition, House of Contemporary Thought, Beirut - Lebanon.
- Ahmed, Lotfi Barakat: Values and Education, 1983 AD, Dar Al-Marreikh Publishing, Riyadh - Saudi Arabia.
- Ahmed, Musa Muhammad and others: In Islamic Civilization, a Study of its Meanings and its Moral and Material Effects, 1st Edition, The Modern Academy of the World Book, Cairo - Egypt.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (d. 256 AH), 1407 AH, Sahih Al-Bukhari:, Dar Ibn Kathir, Beirut.
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (died 175 AH): Al-Ain, investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, 1409 AH, 2nd edition, Hijrah publication, Qom - Iran.
- Al-Jahiz, Abu Othman Omar bin Bahr (d. 255 AH), Al-Hayyun:, investigated by: Abdel Salam Haroun, House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Khatib, Muhammad Abdel-Fattah: The Civilized Values of Islam towards a New Humanity, 1431 AH, The Nation's Book Series, Doha - Qatar.

- Al-Kufi, Hussein bin Saeed Al-Ahwazi (V3), 1402 AH, 2nd Edition, Al-Zuhd, Scientific Press, Qom, Iran.
- Al-Kulayni, Muhammad bin Yaqoub bin Ishaq (d. 329 AH) al-Kafi, investigation: Ali Akbar Ghafari and Muhammad Akhundi, 1407 AH, 4th edition, Dar al-Kutub al-Islamiyya, Tehran
- Al-Majlisi, Muhammad Baqir bin Muhammad Taqi (d. 1110 AH): Mirror of the Minds in Explanation of Akhbar Al-Rasul's Family, 1404 AH, 2nd Edition, Dar al-Kutub al-Islamiyya, Tehran - Iran.
- Al-Mazandrani, Muhammad Salih bin Ahmad (died 1081 AH), 1424 AH, Sharh al-Kafi (Al-Osoul and Al-Rawdah): Edited and corrected by: Abu Al-Hasan Al-Shaarani, 1st Edition, Islamic Library, Tehran - Iran.
- Al-Nisaburi, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri (died 261 AH): Sahih Muslim: investigation: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Suhaim, Muhammad bin Abdullah bin Saleh: Civilized Values in the Message of Good Humanity, 1432 AH, 1st Edition, King Fahd National Library, Riyadh - Saudi Arabia.
- Hamouda, Abdel Hamid Hussein, 2012: The Arab-Islamic Civilization and its Global Impact, Al Thaqafa Publishing House, Cairo - Egypt.
- Hindi, Ihsan: Words in Civilization, 1977 AD, Al-Arabi Magazine, No. 224.
- Ibn Abi al-Hadid (d. 656 AH), 1962 AD, Explanation of Nahj al-Balaghah: Investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, Issa al-Babi al-Halabi and his associates, Beirut.
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman Ibn Muhammad (708 AH): Introduction to Ibn Khaldun, Al-Alamy Publications Institution, Beirut - Lebanon.
- Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram (died 711 AH): Lisan al-Arab, 2003 AD, Dar Sader, Beirut - Lebanon.
- Ibn Nabi, Malik: The Problem of Culture, 1979 AD, Dar Al-Fikr, Damascus - Syria.
- Sabaa, Tawfiq Muhammad Civilized Values in the Noble Qur'an (The Pre-Qur'an World), 2nd Edition, Dar Al-Manar for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt.
- Shahwan, Rashid Saeed: Sharia Controls for Constants and Variables in Islam: 2013 AD, 1st Edition, Dar Al-Mamoun for Publishing and Distribution, Amman - Jordan.
- Zarman, Muhammad: The Value of Dialogue and its Civilizational Dimensions in the Sunnah

Civilized Values in the Hadiths of Ahl Al-Bayt

Inst. Dr. Nora Hussein Ali Abbas
College of Arts / University of Imam Jaafar al-Sadiq, peace be upon him
noura.hssein@sadiq.edu.iq

Abstract
The study constitutes an element of scientific defense of our true religion (Islam) and the people that represent it. And stand on the means adopted by the Islamic religion in building man and social life. The result come up with a set of criteria that contribute to the formulation of the Islamic identity and express the culture of Islam in all aspects of life.
Keywords: Civilizational Values, Hadith, Imam